أما قبل

فقد كنت أصدرت ـ منذ سنوات ـ دراستي (الشعراء والسلطة)(*).. تلك العلاقة المتوترة على مر العصور بين الطرفين.. وقلت: إن هذه العلاقة بألوانها المختلفة لا يفلت منها زمان ولا مكان.. والشعر هو أبرز خطوط التاريخ وأقواها وأكثرها تحديداً وصدقاً لهذه العلاقة.

وتلك العلاقة ـ على قوتها وأهميتها ـ تسقط من النظر شعراء كثيرين.. وترفع بعضهم إلى مكانة أعلى.. والفيصل فى هذا أو ذاك هو الموقف الذى يتخذه الشاعر وما يختفي وراءه من دوافع وبواعث..

ويظل التاريخ يُكْبِر فى الشاعر موقفه الثابت الصامد أمام طغيان السلطة.. لو هو ظل ملتزما هذا الصدق دون خوف ولا نفاق ولا تردد.. وبقدر تمسك الشاعر بموقفه.. بقدر ما يسجل التاريخ شجاعته وعزته ومقدرته على التضحية بكل أطماع ومباهج الحياة الزائفة من أجل الكلمة والموقف.

وتاريخ الشعوب حافل بتلك النماذج النبيلة التى وقفت فى صف الشعوب ضد طغيان السلطة.. وأساليب القمع والكبت.. وتكميم الأفواه.

وقد وفقني الله لرصد هذه العلاقة المتوترة بين الشعراء العرب والسلطة منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث فى هذه الدراسة الآنفة..

. . . . . .

(*) الشعراء والسلطة ـ أحمد سويلم ـ دار الشروق 2003

لكنني وجدت استكمالاً لهذه الدراسة أن أقدم هذه الفكرة التى بين يديك ـ صديقي القارئ ـ متتبعاً هؤلاء الشعراء المعاصرين الذين أطاحت بهم السلطة فأدخلتهم السجون وانهالت عليهم بأساليب التعذيب والقهر.. أو فضلت السلطة نفيهم خارج بلادهم.. أو اختاروا هم بأنفسهم أساليب هذا النفي ـ سواء أكان نفياً نفسيا ذاتيا فى صورة عزلة عن الناس أم نفياً حقيقيا بعيداً عن الوطن مع تقبل التشريد والمصاعب الجمة التى يعانيها الشاعر فى هذا النفى..

وتقول المعاجم فى مادة (سجن).

يقال: سجنه يسجنُه سجنا: أي حبسه

والسجان: صاحب السجن

ورجل سجين: مسجون.

وجمعه سجناء وسَجْنَى

السجن: الحبس والمحبِس.. والسَّجن: المصدر

والسَّجِّين ـ أيضا ـ الصلب الشديد فى كل شئ.. وقوله تعالي: (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين) يعنى أن الكتاب فى حبس لخساسة منزل الفجار عند الله تعالي

وقد ارتبط السجن منذ القدم بالصَّغار والمذلة والهوان.. واستخدم لقهر المخالفين للسلطة فى سياستها أو عقيدتها أو آرائها.. وغالباً ما يسجل المسجون تجربته الخاصة داخل الجدران إذا كان صاحب قلم.

وما يعنينا هنا هو السجن السياسي أى الذى يضم كل من يعارض السلطة بآرائه ومواقفه.

ويبدو أن السلطة ـ أى سلطة ـ لا ترحب بالمثقف ولا صاحب الموقف ولا صاحب الكلمة.. لأنه أكثر البشر تأملاً وكاشفاً وفاضحاً لأساليب

السلطة الخفية.. لهذا فإن السلطة هنا تضع مثل هؤلاء تحت أعينها رقابة.. وتهديداً.. ووعيداً.

ولو حدث واكتسب القلم حصانة خاصة.. فإن السلطة أيضا (تملي وتمهل) لصاحب هذا القلم حتى يقع فى المحظور.. فتملك ما تدينه به.. وما أكثر أساليب السلطة فى إلصاق التهم بالكتاب والمثقفين.

والسجن إحدى الوسائل التى تستخدمها السلطة لتكميم الأفواه.. وإلحاق المهانة النفسية بصاحب الرأي الذى يظن نفسه دائما فى موقع القيادة الشعبية.

أما أساليب السجون فلا تقع تحت حصر.. ابتداءً من الحجز فى زنزانة ضيقة مظلمة وانتهاء إلى طرق التعذيب الجسدي والنفسي.

واحتمال هذه الأساليب قدرة يتحلى بها القليل.. الذى يظل صامداً لا يهمه ما يحدث له.. يبتسم لجلاده وهو يطيح بسوطه على جسده ويتمسك بموقفه من أجل وطنه وشعبه والحرية التى ينشدها..

أما المنفى.. فتقول المعاجم أيضا عنه:

نفى الشئُ.. ينْفَى نفيا: تنحى

ونفيتُه أنا نفيا

ونفى الرجل عن الأرض ونفيته عنها: طرته فانتفى

وانتفى منه: تبرأ.

ونفى الشئ نفيا: جحده.

النفى إذن انخلاع من الأرض التى يعيش فيها الإنسان إلى مكان آخر مجهول قدر له أن يعيش فيه دون إرادته.. فيعيش طريدا مشردا يعانى قسوة الغربة.. ومغامرة النفي.

والمنافي أنواع..

تبدأ من العزلة والحبس الإرادي داخل جدران البيت ـ كما فعل أبو العلاء المعري ـ قديماً.. وكما فعل فهد العسكر حديثاً.

وهناك النفى الإرادي لكن خارج بيته ووطنه.. حيث يختار الإنسان منفاه بإرادته.. كما حدث مع الشاعر أحمد شوقي حينما خيره الاستعمار فى منفاه فاختار الأندلس بلد ابن زيدون.

وهذا المنفى الإرادي يمكن أن يحدده الإنسان لنفسه بحرية كاملة دون ضغوط من سلطة.. وهو نوع من الهروب الايجابي يستطيع الشاعر فيه أن (يسوِّق) لأفكاره فى دول أخرى غير وطنه كما فعل كثيرون مثل البياتي.. وعبد الرحمن الخميسي.. ومحمد عفيفي مطر.. ومحمود درويش.. والزبيري.

وقد يطول المنفى أو يقصر.. وقد تتعدد أشكاله وألوانه والأفكار التى تتحقق فى دائرته.. لكنه ـ برغم كل هذا ـ غربة شديدة الوطء على الشاعر لأنه الإنسان الذى يمتلك الحس العميق والذى يميل بطبيعته إلى العزلة ومن أجل تحقيق اطمئنان نفسي خاص..

لهذا كانت هذه الدراسة..

وكعادتي.. أضع لنفسي منهجاً خاصاً يقوم على حسن اختيار الشعراء موضوع الدراسة.. وعلى ثراء تجربتهم.. وعدم تشابهها مع تجربة أخرى.. فإن وجِدت تجربتان متشابهتان.. اخترت أكثرهما ثراء وعطاء..

وآثرت أن أقصر دراستي على الشعراء المعاصرين الذين عانوا السجن أو النفى بألوانهما وأشكالهما المختلفة.

ولكي تتنوع الشخصيات لم أقتصر على الشعراء المصريين فحسب لأن النضال ضد السلطة ليس مقصوراً على شعراء مصر وحدهم.. فأخذت

ألتقط نماذج عربية مختلفة كان لها دور مشهود فى حركة النضال العربي ضد السلطة وعانت السجن أو الغربة أو النفى والتشريد.

أما لماذا كانوا عشرين شاعراً وليس أقل أو أكثر.. فلا أدرى والله.. لكنى وجدت نفسي أكملهم عشرين.. ورأيت أن النماذج التى ذكرتها كافية بتجاربهم المتنوعة فى إقناع القارئ بهدف هذه الدراسة وأن المزيد سوف يوقعني فى شبهة التكرار أو التزيد..

وهذا إحساس خاص يهبط على الكاتب فى وقت ما ليلزمه بالتوقف والاكتفاء..

وهذا ما حدث..

فسوف تجد أيها القارئ نماذج لشعراء المنافي.. مثل البارودي وشوقي وعفيفي مطر والبياتى.. وغيرهم.

وستجد أيضا نماذج لشعراء السجون مثل محمود أمين العالم.. ونجيب سرور.. والبردونى.. ومعين بسيسو.. وغيرهم.

وحاولت مع كل شخصية أن أعرف القارئ سريعاً بالشاعر وأركز على محنته (سجينا أو منفيا) وأسوق من أشعاره ما يؤرخ ويحكى ويصف هذه التجربة الفريدة فى الشعر العربي..

وأخيراً..

فبين يديك الآن يا صديقي القارئ إحدى محاولاتي التى أطمئن إلى أنها سوف تمتعك.. وتقف بك على حقائق ربما كانت غائبة أو غائمة فى ذاكرتك.. فأرجو أن أكون على قدر حسن ظنك..

والله الموفق،،

أحمد سويلم